رؤية مقترحة لاعادة تشكيل مفهوم المواطنة في العراق الجديد

المدرس الدكتور

عبير سهام مهدي(*)

المقدمة

مثلت عملية التحول من النظام الشمولي إلى مشروع أقام نظام جديد ومغاير، نقله نوعيه شهدها المجتمع العراقي بعد نيسان القت بظلالها على مختلف الاصعدة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية ولعل من ابرز تلك التحولات ذاك الذي تبلور على صعيد الهوية الوطنية وإعادة تشكيلها من خلال صياغة جديدة لمفهوم المواطنة الذي يفترض ان تكون القاعدة الراسخة التي يتأسس عليها المشروع الوطني الجديد الرامي لاقامة أو اعادة تأسيس الدولة العراقية الجديدة، دولة المؤسسات وحكم القانون.والملاحظ ان عملية التحول الكبيرة والقاسية تلك وان كانت في مجملها مدعاة للتفاؤل الأمل في بناء دولة تحترم مواطنيها ويضطلع نظامها السياسي بالواجبات أو المهمات التي يتعين عليه انجازها، إلا انها واجهت ولازالت عقبات كأداء شوهت ذلك الهدف وقد لان جاند . الواقع اذا ماوضعنا (مفهوم المواطنة ودلالاته) في مقدمة تلك العقبات، ذلك لان المفهوم قد تم تشويهه اساسا على مدى سني ومراحل بناء الدولة العراقية منذ بدايات القرن الماضي صعودا(ولايهمنا في هذا المجال فيما اذا كان ذلك بقصد ووعي او بدونهما، المهم النتيجة واحدة–مجتمع حافظت القوة والقهر والاستخدام البشع للاداة العسكرية داخليا وخارجيا في تشكيل هويته الوطنية ان كانت هنالك هوية وطنية–بدليل ماحصل بعد انهيار هذا النظام.

ومن هنا تمثل هذه الدراسة قراءة اولية لمفهوم المواطنة الذي احتل حيزا مهما في الانشغال الفكري والسياسي بأعتباره مدخلا إلى أرساء انظمه الديمقراطية، واساسا لعمليه الاندماج الوطنية، وحجر الزاوية في بناء الدولة الوطنية الحديث. كما تعالج هذه الدراسة آليات اعادة تشكيل وتعزيز وتفعيل مفهوم المواطنة في العراق الجديد.

وعليه فأن الدراسة انقسمت إلى محورين، تناول المحور الاول ماهية المواطنة وسياق تطورها التاريخي، وقدم المحور الثاني رؤية مقترحه من شأنها ان تسهم في اعادة تشكيل وتفعيل مفهوم المواطنة في العراق الجديد.

المحور الاول: ماهية المواطنة وسياق تطورها التاريخي

لايمكن الاعتماد على مبادئ عامة محددة لتحديد معنى المواطنة بشكل دقيق فهو مفهوم تاريخي شامل يختلف من زمان لاخر، ومن مكان لمكان ويتأثر بالنضج السياسي والرقي الحضاري

(*) وحدة البحوث والدراسات–كلية العلوم السياسية–جامعة بغداد.

للدولة، اذ تأثر هذا المفهوم وعبر العصور السابقة بالتطورات السياسية والاجتماعية والعقائد المختلفة وبقيم الحضارات والاحداث العالمية الكبرى .

اذ ينسب البعض إلى الاغريق والرومان الخطوات الاساسية في وضع اسس مفهوم المواطنة والتأكيد على ضرورة المنافسة من اجل تقلد المناصب واهمية ارساء اسس مناقشة السياسة العامة بأعتبار ذلك شيئا قيما ومطلوبا في حد ذاتة .

فقد تجلت مساهمة الحضارة اليونانية– لاسيما في مدينة اثينا–في إرسائها لمبادئ المواطنة في إطار ممارستها للديمقراطية المباشرة ومن خلال الدعوة إلى المساواة والحرية والمطالبة بحقوق الشعب على وفق تصورها للشعب الذي استبعد الاجانب والرقيق، اما الحضارة الرومانية فقد اعتمدت رغم–ارستقراطيتها–مبادئ مهمة كالمساواة والحرية لاسيما خلال ماسمي بالمرحلة التشريعية التي جرى فيها التأكيد على مسألة الديمقراطية وتحرير الشعوب والافراد المستضعفين .

ادى سقوط الامبراطورية الرومانية إلى تراجع مفهوم المواطنة ففي العصور الوسطى اصبحت مواطنة الفرد تتحدد بحسب وضعه الاجتماعي–السياسي في نظام الطبقات الاقطاعي السائد وبقي ذلك مسيطرا حتى نهاية العصور الوسطى، حيث ساد في اوربا بناء اجتماعي هرمي، كانت المواطنة فيه حقا لملاكي الاراضي مع ظهور فكرة الامة ذات السيادة، وفكرة وجود حقوق أساسيه للفرد العضو في الامة ، كأنسان ومواطن، ينالها مقابل الواجبات التي تقع على عاتقه .

اما المواطنة بمعناها الحديث فهي وليدة انبعاث القومية الحديثة، وظهور شرائح اجتماعيه غير إقطاعيه تعمل في التجارة والصناعة، ولها قوة ونفوذ في المجتمع وقد ترافق ظهور هذا المفهوم الحديث لـ(المواطنة) مع اعلان استقلال الولايات المتحدة عام( ) وبعدها في اعلان حقوق الانسان والمواطن في العام( ) ، وتعتبر هاتان الوثيقتان حتى يومنا هذا نقطة تحول مهمة في تاريخ مفهوم المواطنة ، حيث نصتا على الحقوق السياسية والمدنية بما في ذلك مفهوم(الحرية) المستمد من العضوية في الشعب صاحب السيادة[1].

هذا وقد بقي مفهوم المواطنة في تطور مستمر خلال القرون السابقة منذ نهاية القرن الثامن عشر إلى وقتنا الحاضر ، اذ اصبح مفهوم المواطنة حقا غير منازع فيه وامتد ليشمل فئات من المواطنين لم تكن تتمتع بحق المواطنة مثل النساء فأصبحن يتمتعن بحق المشاركة السياسية في اتخاذ القرارات الجماعية إلا ان ذلك لم يكن إلا في القرن العشرين، ففي بريطانيا لم تحصل النساء على حق الانتخابات إلا في عام( ) ، وفي فرنسا ( )[1].

---

[1] امل هندي الخزعلي، اشكالية المواطنة في الخطاب الاسلامي المعاصر مجلة العلوم السياسية ( )، تموز، بغداد، ( ) .

[2] امل هندي الخزعلي، جدلية العلاقة بين الديمقراطية والمواطنة والمجتمع المدني/ العراق انموذجا، ع(/)، شباط، بغداد، ( ) .

[3] مسعود موسى الربضي، اثر العولمة في المواطنة المجلة العربية للعلوم السياسية، مركز دراسات الوحدة العربية، ع ( ) بيروت، ( ) – ( ) .

[4] المصدر السابق ،ص ( ) .

[5] ليث زيدان ، مفهوم المواطنة في النظام الديمقراطي : . www . islam on line .net .

وعلية وقبل البدء بتعريف المواطنة لابد من ايضاح لبعض المصطلحات ذات العلاقة بالمفهوم ومنها مفهومي الوطن والمواطن.

فالوطن (الدولة) وكما يعرفها (ريموند كايتل) بانها: (مجتمع من الافرد يقيمون بأستمرار في اقليم معين ، مستقلين من الناحية القانونية عن كل تسلط اجنبي، ولهم حكومة منظمة تشرع وتطبق القانون على جميع الافراد داخل حدود سلطتها)[6].

(كايتل) يجعل اركان الدولة اربعة هي[7]:

أ . مجموعة من الافراد.

ب . الاقليم.

ج . السيادة.

د . الحكومة.

اذن من هو المواطن ؟ وماهي المواطنة ؟

ان المواطن هو اللبنة الاساسية في اي مجتمع من المجتمعات بغض النظر عن طبيعة هذا المجتمع ومواصفاتة وبدون المواطن لايمكن الحديث عن وطن وتبرز هذه الاهمية بصورة اوضح في المجتمعات التي تسير على النهج الديمقراطي، حيث تعمل السلطة السياسية التي يتم انتخابها من قبل المواطنين على تنظيم وادارة حياة المجتمع بالشكل الذي يحقق مصالح الغالبية العظمى منهم ، ويوفر لهم كافة الاساليب والوسائل التي تمكنهم من العيش بكرامة ورفاهية .

فالمواطن: هو فرد يقيم بصورة ثابتة ومتواصلة في وطن، بلد معين، في مجتمع معين، وعلى منطقة جغرافية معينة، وترتبط بسائر المواطنين الذين يقيمون في هذة المنطقة علاقات اقتصادية، اجتماعية، وثقافية الخ.

وبناءا على هذا المعنى فان المواطنة تعني: (الانتماء إلى بلد ما، والى شعب يقطن هذا البلد) انها تمثل العلاقة القانونية القائمة بين الوطن والمواطن[8] .

كما عرفت دائرة المعارف البريطانية المواطنة بانها:(علاقة بين فرد ودولة يحددها قانون تلك الدولة وبما تتضمنة تلك العلاقة من واجبات وحقوق في الدولة) .

---

[6] **نقلا عن : لؤي بحري ، دراسات في علم السياسه ، مطبعة شفيق ، بغداد ، ، : .**

[7] **عبير سهام مهدي ، بناء دولة القانون في العراق ، المجلة السياسية والدوليه، ع ( )، اب ، بغداد ، . .**

[8] **ينظر : عبد الجبار احمد عبد الله ، سبع مسائل في احسن الوسائل السياسية العراقيه ، مجلة العلوم السياسية (:) : . حزيران ، بغداد ، : .**

[9] **بلا مؤلف ، الوطن والمواطن والمواطنة:www . cffif . net**

[10] **حسين علوان حسين، اشكالية بناء ثقافة المشاركه في الوطن العربي، مجلة العلوم السياسية ( ))- بغداد، .**

[11] **علي خليفه الكواري ، مفهوم المواطنة في الدوله الديمقراطيه ،في الديمقراطيه والتنميه في الوطن العربي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بير .**

اما الدكتور (برهان غليون) فانة يعرفها بانها:(فكرة قائمة على اساس تحالف وتضامن بين اناس احرار بكل ماتعنية هذه الكلمة من معنى اي بين اناس متساوين في القرار والدور والمكانة ومن رفض التمييز بينهم على مستوى درجة مواطنيتهم واهليتهم العميقة لممارسة حقوقهم المواطنية)[12] .

وهذا يعني ان المواطنة هوية مشتركة تعمل على اندماج فئات المجتمع على اسس قانونية صحيحة ومقبولة من الجميع.

وتذكر موسوعة الكتاب الدولي ان المواطنة هي:(عضوية كاملة في دولة او في بعض وحدات الحكم ، وان المواطنين لديهم بعض الحقوق، مثل حق التصويت، وحق تولي المناصب العامة، وكذلك عليهم بعض الواجبات مثل واجب دفع الضرائب والدفاع عن بلدهم) ، وحسب موسوعة(كولير) الامريكية فان المواطنة هي: (اكثر اشكال العضوية في جماعة سياسة اكتمالا) .

يلاحظ ان موسوعة الكتاب الدولي وموسوعة (كولير) الامريكية لم تميز بين مصطلح (المواطنة) ومصطلح (الجنسية) كما فعلت دائرة المعارف البريطانية فالجنسية وان كانت مرادفة للمواطنة فهي تعطي امتيازات خاصة مثل الحماية خارج الدولة ، وبطاقة للتعريف بشخصية الفرد وهوية رسمية لة عندما يخرج من حدود بلدة .

وهكذا وعلى رغم من تعدد وتنوع التعاريف المقدمة إلا ان الانتماء للامة والارتباط بكيان سياسي هو الفهم الاكثر شيوعا ، وعلية يصبح الانتماء المعنى الحقيقي لمفهوم المواطنة اذ بدونة لاقيمة للمواطنة التي تبقى مجرد جنسية تمنح حقوقا وتفرض واجبات ولاتعبر إلا عن التابعية ووثيقة سفر لاجتياز الحدود .

وطالما ان مفهوم المواطنة ينطوي على جملة من الحقوق الممنوحة للافراد وواجبات مفروضة عليهم ، وطالما ان المعنى الحقيقي للمواطنة يعتمد على انتماء الفرد وولائة لوطنة تكون المواطنة في مواجهة تنظيم علاقة على مستويين:

المستوى الاول: العلاقة القائمة بين الافراد والدولة، **والمستوى الثاني:** العلاقة القائمة بين الافراد بعضهم ببعض، وهذا يحتم ان تكون المواطنة قائمة على الاسس التالية[13] :

:. المساواة الكاملة بين فئات المجتمع بغض النظر عن الجنس واللون والمذهب .

.. المشاركة الفاعلة في الميادين السياسية والاجتماعية والاقتصادية .

وقد شهد مفهوم المواطنة تغيرات عديدة اذ توسع ليتعدى الجانب القانوني والدستوري وضمانات المشاركة السياسية ليشمل الحد الادنى من الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي تمكن المواطن من التعبير عن رأيه ومصالحة بحرية مثل التقارب في مستويات الدخل والثروة والتعليم

---

[12] **برهان غليون ، نقد السياسه : الدين والدوله ، المؤسسه العربية للدراسات ،بيروت، ص .**

[13] **علي خليفه الكواري ، مصدر سبق ذكره ، ص .**

[14] **ليث زيدان ، مصدر سبق ذكره .**

[15] **حسين علوان حسين ، مصدر سبق ذكره ، ص .**

اضافة إلى حد ادنى من المسؤولية المجتمعية تجاة تنمية فرص العمل والرعاية الاجتماعية في حالة العجز والبطالة ومن اجل التعليم والصحة والتنمية الثقافية .

وترجع اسباب هذه المراجعة التي طرات على المفهوم لعدة عوامل ابرزها الازمة التي تتعرض لها فكرة الدولة القومية التي مثلت ركيزة الفكر الليبرالي لفترة طويلة وذلك نتيجة عدة تحولات شهدتها نهاية القرن العشرين اهمها :

:. تزايد المشكلات العرقية والدينية في اقطار كثيرة من العالم، وتفجر العنف بل والابادة الدموية، ليس فقط في بلدان لم تنتشر فيها عقيدة الحداثة من بلدان العالم الثالث بل ايضا في قلب العالم الغربي او على يد قواة الكبرى كالابادة النووية في هيروشيما مرورا بالابادة الصربية للمسلمين والابادة الامريكية للعراقيين والافغان والابادة الجارية في فلسطين .

.. بروز فكرة العولمة التي تأسست على التوسع الرأسمالي العابر للحدود وثورة الاتصالات والتكنلوجيا من ناحية اخرى والحاجة لمراجعة المفهوم الذي قام على تصور الحدود الاقليمية للوطن والجماعة السياسية وسيادة الدولة القومية، وكلها مستويات شهدت تحولا نوعيا وعلى صعيد اخر فان نمو الاتجاهات الاصولية المسيحية واليمينية المتطرفة في البدان التي مثلت مهد التجربة الليبرالية واثارها على الواقع السياسي والاجتماعي الغربي المعقد مع وجود اقليات عرقية ودينية منها العرب والمسلمون .

هذا فضلا عن وصول الفردية كفكرة مثالية لتحقيق حرية وكرامة الفرد إلى منعطف خطير في الواقع الليبرالي بعد ان ادى التطرف في ممارستها وعكوف الافراد على ذواتهم ومصالحهم الضيقة إلى تهديد التضامن الاجتماعي الذي يمثل اساس وقاعدة اي مجتمع سياسي وتراجع الاهتمام بالشأن العام لصالح الشأن الخاص وتنامي مايسمية البعض ب (موت السياسة) وبروز (سياسات الحياة اليومية) [16].

يتضح من خلال ماتقدم ان المواطنة مفهوم تاريخي اتخذ عبر العصور وتطور المجتمعات وتعدد الثقافات صورا وتعريفات عديدة حتى استقر على صورتة الحالية في المجتمعات المعاصرة باعتباره صفة تلحق بالفرد بسبب علاقتة بالوطن، واصبحت مثلا اعلى بتمثل بالمشاركة السياسية بمعنى ان يكون للمواطن الحق في الاسهام . طبقا للدستور والقانون . في ممارسة السلطه العامه في بلده ،هذا فضلا عن منظومه من عناصر ومقتضيات تجعل من الولاء للدولة مجرد استجابة موضوعية وضمانة حقة لتنمية امكانات النضال السلمي لاستخلاص الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والبيئية، وادارة الاختلاف ديمقراطيا .

---

[16] علي دريول محمد ، اعادة تشكيل الهويه الوطنيه مقدمه لبناء عراق ديمقراطي ، مجلة العلوم السياسية ( ) . حزيران ، بغداد ، .

[17] بلا مؤلف ، المواطنة ومادراك ماالمواطنة : . www. Youtndrafour . katib org

[18] ينظر : محمد عابد الجابري، العولمة والهوية الثقافية، في ندوة العرب والعولمة بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ، .

[19] بلا مؤلف، المواطنة وما ادراك ما المواطنة، مصدر سبق ذكره .

المحور الثاني: رؤية مقترحة لاعادة تشكيل مفهوم المواطنة في العراق الجديد

اذا ما انتقلنا إلى دراسة الحالة العراقية، فأننا امام ارث سياسي واقتصادي واجتماعي ونفسي لة بالغ الاثر على تشكيل مفهوم المواطنة في العراق والمتمثلة بعجز النظام السابق في ادخال معايير الانتماء والمواطنة إلى عقول وقلوب المواطنين وبناء سياسة المشاركة والحوار، الامر الذي دفع وبشكل طبيعي إلى انهيار المجتمع والدولة بعد سقوط النظام وعودة افراد المجتمع إلى ذواتهم المذهبية، هذا إلى جانب اتباع النظام السابق لسلوكيات التضييق والتهميش لقطاعات كبيرة من المجتمع وتحجيمها من ان تكون مكون اساسي داخل المجتمع العراقي وحرمانها من الاندماج في المكون الاكبر (الدولة) الامر الذي خلق لدى هذه القطاعات ردود فعل من الانكماش والانطواء على الذات دون الاخر الذي يصاحبة تمسك غير طبيعي بانتماءاتهم الفرعية والمذهبية، ولا نبتعد كثيرا عن الحق اذا قلنا ان السياسة لعبت ومازالت تلعب دور كبيرا في افراز الطائفية بالمجتمع العراقي حينما استخدم النظام السابق سياسة التمييز الطائفي بين فئات المجتمع، فالتمييز الطائفي وليس الانتماء لطائفة وهو مايجعل الانسان طائفيا، وهذه السياسة هي التي يتم من خلالها استغلال جماعات فئوية طائفية للدين والمذهب محاولة تدمير ركائز وقيم المجتمع والدولة ، هذا ولايمكن تجاهل الدور الاساسي الذي اتخذة النظام السابق في اخراج اجيال طائفية بالمعنى المذهبي حينما اتبع النهج الطائفي في كافة المجالات لتسود الثقافة الاحادية المنغلقة على الاخر ، فكان التعليم المجال الاساسي في اتباع ذلك النهج من خلال مناهج الدراسة التي حبت على اتجاة واحد ونمط معين من الدراسات متجاهلة سائر الاتجاهات والمذاهب الاخرى، الامر الذي ادى إلى بناء جيل طائفي معبا فكريا ونفسيا ضد كل مايخالف اتجاة السلطات العام، اي جيل ذا فكر منغلق وعقلية ضيقة متجاهلة الرأي الاخر والوقوف بالضد إلى كل مالايوافق فكره ، وحتى بعد سقوط النظام ، نجد ان تجليات مختلفه قد تلونت بألوان مختلفه مثلتها الانتماءات الطائفيه المستنده على قبول او رفض ماهو (شيعي ، او سني ، او كردي ، او تركماني) فهذه الانتماءات العرقيه او الطائفيه او المذهبيه نجدها تتبلور وتعيد انتاج نفسها من جديد بأطر مختلفه ، وقد تكون هذه حاله طبيعيه افرزتها المرحله السابقه بحكم شعور هذه الطائفه او تلك بالغبن والدونيه في مستوى المواطنة والتهميش لفترات طويله ولكن لايمكن ان تمضي وتستمر في المستقبل المتوسط او الطويل خصوصا وان العراق يشهد مرحلة بناء جديدة ليس فقط للمؤسسات السياسيه والاجتماعيه والاقتصادية ولكن مرحلة بناء ذات الانسان وقوامه بوصفه كتله ايجابيه قادره على التعاطي الايجابي مع استحقاقات المرحله الجديد) .

---

[20] **علي حسن الربيعي ، تحديات بناء الدوله العراقيه : صراع الهويات ومأزق المحاصصه الطائفيه ، في الاحتلال الامريكي للعراق والمشهد الاخير ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، .**

[21] **حمزه الحسن ، العنف السياسي في المملكه مصادره واشكاله وافاقه : www . islam on line . net .**

[22] **سناء كاظم كاطع ، الطائفيه وتداعيها على بناء الدولة العراقية المعاصرة، مجلة العلوم السياسية ، ع( ) . (_) . .**

[23] **ياسر خالد عبد بركات، مبدأ المواطنة واستحقاقات الدستور الدائم: www.mcsr.net.**

هذا من جانب، ومن جانب اخر فان وجود وتبلور بعض الشروط او متطلبات انبثاق مفهوم جديد للمواطنة في العراق الجديد لم يترافق معه نجاح في التطبيق على ارض الواقع .فالعمليه السياسيه التي انطلقت في العراق بعد ./نيسان/ افضت إلى بلورة تلك الشروط ولعل من بينها[24] :

:. لاسيادة لفرد او لقلة على الشعب الذي هو مصدر السلطات.

.. سيطرة احكام القانون والمساواة امامة.

.. عدم الجمع بين السلطات.

.. ضمان الحقوق والحريات العامة دستوريا وقانونيا وقضائيا ومجتمعيا.

.. التداول السلمي للسلطة.

لكن الملاحظ . وبكل اسف . ان شروط كهذه على الورق لاتكفي لبلورة مفهوم وطني للمواطنة، لان بلورة مفهوم المواطنة وفق الاطر النظرية والموضوعية تحتاج إلى جملة خطوات واعتبارات اجتماعية واقتصادية وسياسية وقيمة يضطلع بها المجتمع ونظامة السياسي.

واذا ماسلمنا بأهمية تأسيس مبدأ المواطنة العراقية في انضاج النخب الفرديه سعيا إلى تأكيد وتعزيز الحقوق الفرديه والجماعيه للافراد والجماعات في دستور يحترم هذه الافكار ويعمل على تنميتها ، فأننا نتطلع وفي نفس المسار إلى تأكيد الهوية الوطنية التي تعتبر الرابطه الوثقى والمحدده لشكل وعلاقةالدولة بالمواطن ، ذلك ان حقوق المواطنة اليوم اصبحت حاجه ملحه وماسه في جميع شعوب العالم ومرتبطه او منبثقه من الحصول على جنسية البلد الذي ينتمي اليه .

ان الاحتكام إلى الاسس البنيويه الخاطئه والطروحات التي تراوحت بين الاسس المستورده البعيده عن الاصاله والواقع العراقي كانت وراء تغييب المقومات الاساسيه المتمثله بالوعي الفكري والسياسي المنتج للهويه الوطنية والمواطنة بشكل اساس مما افقد المجتمع قوته وقدرته على انتاج الذات الوطنية المعبره عن اهمية الشعور بمبدأ المواطنة .

وهنا تصبح الحاجه إلى تأكيد المواطنة ضروره اساسيه ملحه وملائمه للمجتمع العراقي بعد ان فشلت التجارب السابقه في ابداع الفكر والطروحات والمشاريع المنتجه للهويه الوطنية بالشكل الذي يجعل المواطنة والمواطن والوطنية اساسا وهدفا يبرر وجود وظيفة الدولة .

وفي ضوء معالجة الدراسة لمفهوم المواطنة وواقعها في ظل النظام السابق تطرح الدارسة في هذا الجزء رؤية مقترحة يمكن ان تسهم في تفعيل مبدأ المواطنة وإعادة تشكيلها على اساس الولاء للوطن وصهر الولاءات الفرعية والضيقة فيه وعلية فان الرؤية المقترحه تتضمن مايلي:

اولا: الافاق العامة لتفعيل المواطنة:

أ . تاسيس العلاقة بين مكونات المجتمع والدولة على اسس وطنية تتجاوز كل الاطر والعناوين الضيقه، بحيث يكون الجامع العام لكل المكونات والتعبيرات والاطياف هو المواطنة والتي لاتعني فقط

---

[24] **ينظر: خالد عليوي جياد، متطلبات التحول الديمقراطي في العراق:www.fcdrc@rcdes.com**

[25] **ياسر خالد عبد بركات، مصدر سبق ذكره.**

جملة الحقوق والمكاسب الوطنية المتوخاه وانما تعني ايضا جملة من الواجبات والمسؤوليات العامة الملقاة على عاتق كل مواطن .

ب . مسؤولية الدولة عن الشروع بتنمية اقتصادية شاملة ترفع من المستوى المعاشي لافراد المجتمع ومعالجة مشاكل الفقر والبطالة وتوفير الضمان الاجتماعي لافراد المجتمع .

ج . التركيز على ابراز مبدأ المواطنة في قضائنا الاجتماعي وذلك بتوسيع رقعة وساحة المشاركة في الشأن العام شريطة توافر استعدادات حقيقية عند جميع الشرائح والفئات لتحمل مسؤولياتها ودورها في الحياة العامة .

د . اعطاء دفعات متتالية من الاهتمام بنظام العلاقات والتواصل بين مكونات المجتمع والاستمرار في ازالة مكونات الشعور بالاقصاء او التهميش او تدني المشاركة الفعالة، والتأكيد على مختلف الشروط والروافد التي تقضي إلى ارساء مبدأ المواطنة بكل مستوياتة.

ي . تعزيز الكرامة الانسانية وهي شرط ضروري التركيز علية في المجتمعات العربية والعراقية على وجة الخصوص التي تهان فيها كرامة الانسان وتهدر حقوقه وتهدر حياته في العديد من الاوقات إلى درجة ان المواطن العراقي لم يعد امنا بين اهلة وفي بيتة حتى لو لم يمارس عملا سياسيا معينا، ويكفي النظر إلى ظاهرة القتل على الهوية ، او الاعتقال بداعي الشبة، والارهاب باسم الدين او ارهاب السلطة[26] .

و . سيادة القانون والمساواة السياسية، اذا يكون جميع المواطنين خاضعين للقانون بغض النظر عن الاختلافات العرقية، والاجتماعية، والدينية، والمذهبية، والثقافية .

ثانيا : مسؤولية التعليم في تعزيز المواطنة:

ان الضمانات الحقيقية للممارسة الوطنية السليمة لاتكمن في تلك الافاق التي تحدد معالم الفضاء الاجتماعي والثقافي وانما تتمثل في مدى تشرب افراد المجتمع لقيم المواطنة الحقيقية منذ الصغر والتدريب على ممارستها عمليا في مختلف المؤسسات والوسائط التربوية حسب طبيعة المرحلة التي يمر بها الفرد ، ومن ثم ياتي طرحنا للرؤية المقترحة لدور التعليم ومسؤوليتة في تعريز مبدا المواطنة مرتكز على مجموعة من المحاور التي تتشكل منها منظومة التعليم والتعلم بمختلف مكوناتة وذلك على النحو التالي:

المناخ المدرسي: ولتفعيل دورة في تنمية وتعزيز المواطنة ينبغي:

---

[26] **بلا مؤلف ، اثر الانفتاح الثقافي على مفهوم المواطنة لدى الشباب السعودي: www.minshawi.com**

[27] **بلا مؤلف ، المواطنة والديمقراطيه :. www .iraq foundation .org**

[28] **بلا مؤلف ، اثر الانفتاح الثقافي على مفهوم المواطنة لدى شباب السعودي، مصدر سبق ذكرة.**

[29] **المصدر السابق.**

[30] **محمد ابو رمان ، حقوق المواطنة ودور المثقف العربي: www. Islam tody .net**

[31] **طلال احمد سعيد ، مستلزمات بناء مجتمع مدني ديمقراطي ، مجلة الحوار ، ع ( ) ، بغداد ، (.**

. ان يكون المدرس ايجابيا يسمح بدرجة من التفاعل الاجتماعي وذلك من خلال تأكيد الثقة بين جيل الكبار والمسؤولين وبين الطلاب على المستوى التنفيذي حتى تنمو مشاعر الحب بين جميع اطراف العملية التربوية فتنمو مشاعر الفخر والاعتزاز بالمدرسة مجتمع صغير ومن ثم المجتمع الكبير.

.. ان يسود المناخ المدرسي روح التعاون والتألف والجماعية وان يدرك كل فرد فية ان له دورا فاعلا على دخل هذه المؤسسة تمهيدا لاختفاء القيم السلبية والفرديه.

.. ان تتغير ثقافة الصمت والتلقين . في اسلوب التعامل داخل المدرسة . إلى اسلوب حواري يحقق فية التلميذ ذاته ويقوم على حرية الرأي ويؤكد على الحوار والمناقشه والنقد الايجابي البناء بين التلميذ والمعلمين .

المناهج الدراسية:

:. اضافة مقررات دراسيه في مراحل التعليم العام يتطور محتواها بتطور نضج الطلاب تركز على اكسابهم قيما بعينها لها دورها الفعال في تخفيف الذات والاسهام مع تطور المجتمع والمحافظة على تماسكة والالتزام باللوائح والقوانين والمفاهيم والمعاني المرتبطة بالمواطنة مثل معنى الدور السياسي المناط بالمواطن واذكاء الروح الجماعية، والالتزام بمعايير المجتمع ونظمة، وتدعيم الشعور بالانتماء ومفاهيم المساواة وضوابط الحرية.

. ان تهتم المناهج الدراسيه وخاصة مناهج الدراسات الاجتماعية مثل النصوص ، والقراءه ، والتعبير بأكساب التلاميذ الهوية الوطنية وارتباطة بوطنة دينا وارضا وتاريخا، وتستثير لدية مشاعر الفخر والزهو بالانتساب لعقيدتة ولوطنة والمسؤولية تجاة الدين والمجتمع والدولة .

اسلوب اداء المعلم :

للمعلم دور في تأكيد اهمية المواطنة بأبعادها وممارستها لذلك يجب التأكيد على آليات الارتقاء بمستوى اداء المعلم المتسم بالايجابية وتنمية وعية بكيفية استثمار المواقف اليومية من تنمية وتعزيز المواطنة ويقتضي ذلك :

:. النهوض بالدور الاجتماعي والثقافي للمعلم.

. حرص المعلم على ترجمة خبراتة الايجابية إلى ممارسة فعلية في المواقف التعليمية المختلفة وان يكون سلوكه مطابقا لافكاره التي يبثها في عقول التلاميذ.

. ان يحرص على بلورة مفاهيم وابعاد المواطنة (الهوية–الانتماء–الحرية–المشاركة السياسية) في صورة سلوكيات يدرب عليها التلاميذ في الانشطه الصفية والاصفية.

ثالثا : التأكيد على ان الدين هو علاقه او رابطه روحيه بين الانسان وخالقه مستنده على مبادئ اخلاقيه ودينيه ساميه ترفض التمييز والغلو والاستعلاء والتطرف والعنف يجب احترامها من قبل الاخرين لضمان تفاعل حقيقي بين الاديان ومعتنقيها ضمن الوطن الواحد والمجتمع الواحد .

---

[32] **عزيز الخيكاني ، الاعلام وثقافة الوطنيه : www.azzizi-su@yahoo.com.**

رابعا : بناء وتأسيس اعلام موضوعي محايد يسهم في اشاعة روح التسامح ونبذ العنف والطائفيه والعرقيه ويلتزم بالثوابت السياسيه والاجتماعيه والثقافيه الوطنية .لذاك لابد ان يكون هناك مشروع وطني يتبناه الاعلام بكل اختصاصاته وهو مشروع(ثقافة المواطنة الحقيقيه) ومن خلاله يتم بناء ثقافه واقعيه تكون انطلاقه نحو جيل يتميز بنظره حقيقيه لمجتمع متحظر منفتح يقر بقبول الاخر واحترام الرأي والنقد البناء الذي يحمل معه الحلول دون التشهير بالاخر وغرس ثقافة الحوار الهادئ السلمي للوصول إلى قناعه مشتركه وهذا جزء من بناء المواطنة الصالحه[٣٣] .

خامسا: محاربة الفساد بكل انواعه السياسي والاداري والاخلاقي في المجتمع والدولة وتشريع القواعد الدستوريه والقوانين التي تكفل معاقبة الفاسدين وضمان استقلال القضاء والاجهزه الرقابيه ومحاسبتها لتقوم بأدوارها في هذا المجال لخطورة الفساد في تهديد امن واستقرار كيان المجتمع والدولة في العراق كونه سببا من اسباب الارهاب كما ان محاربة الفساد والقضاء عليه ان يعزز من ثقة المواطن بدولته وحكومته ويصون مبدأ المواطنة في العراق .

وهكذا فاذا ماتحققت المواطنة بمعناها الحقيقي سيترتب على ذلك تضامن اجتماعي بين هيئة مواطني الدولة لان الوضع القانوني للمواطنة سيكون عام ينتج عنة مساواة تامة في الحقوق الممنوحة للمواطنين قانونا ودستوريا ومساواة في الخدمات التي تقدمها الدولة للمواطنين ومساواة في الواجبات والالتزامات المفروضة على المواطنين مقابل الحقوق والخدمات المقدمة لهم، والمساواة بين المواطنين امام القانون، فالشعور بهذه المساواة من قبل المواطنين جميعا والتحلي بالتسامح. كما يترتب على المواطنة ان تحافظ على حد ادنى من الانتهاك وتوسعة بأستمرار امام الدولة، بالاضافة إلى ذلك كله سيترتب على تحقيق المواطنة السعي المشترك بين المواطنين نحو تحقيق المصلحة العليا والخير العام الذي يستهدف كافة المواطنين ، فطالما ان كل مواطن موجه نحو الدولة والمجتمع وليس نحو فئة معينه او نحو عائلته وعشيرته او نحو قريته او بلدته أو غيرها فان ذلك سيؤدي بالضروره إلى توجيه العمل بشكل جماعي نحو المصلحة المشتركة والخير العام .

واخيرا لابد من الاشاره إلى ان خلق روح المواطنة والانتماء إلى الدولة تعد من اهم العوامل التي تساعد على خلق البيئه المناسبه لظهور الديمقراطيه وتعزيز مؤسسات الحكم الديمقراطي ، فليس هناك ديمقراطيه بدون وعي بالانتماء إلى جماعه سياسيه.. إلى امه في معظم الاحيان[٣٤] .

وفي المقابل فأن المواطنة كأنتماء عضوي بالدولة لاتحيا او تنفعل دونما حاضن ديمقراطي يهبها الانتماء والاعتراف فالعلاقه بين المواطنة والديمقراطيه علاقة توأمه لاية تجارب تنتجها الجماعه السياسيه المكونه للدوله ، كون ان الديمقراطيه تقوم على اساس الاعتراف بالانسان وحقوقه الاساسيه

---

[33] **المصدر السابق.**

[34] **كمال البصري ، نحو تفعيل المواطنة الصالحه : .www.alsabaah.com**

[35] **نقلا عن : امل هندي الخزعلي ، جدلية العلاقه بين الديمقراطيه والمواطنة والمجتمع المدني : العراق نموذجا ، مصدر سبق ذكره ، ص .**

من كرامه واختيار وحريه واراده ، وعلى اساس حق المواطن بالتعبير والمشاركه وصنع القرار ، وهي ذاتها مقومات المواطنة الفعاله والصالحه في ظل الانتماء للدوله الحديثة .

ومن هنا تغدو المواطنة هي الطريق الامثل والوسيلة الانجح ليس فقط لتكامل المجتمع العراقي وانما ايضا لاستقرار العراق وازدهارة وتطوره وتقدم شعبه ليكون نموذجا حضاريا في المنطقه .

الخاتمه

يتضح من هذه الدراسة ان المواطنة مفهوم تاريخي اتخذ عبر العصور وتطور المجتمعات وتعدد الثقافات صورا وتعريفات عديده حتى استقر على صورته الحاليه بأعتباره صفه تلحق بالفرد بسبب علاقته بالوطن واصبحت مثلا اعلى يتمثل بالمشاركه السياسيه بمعنى ان يكون للمواطن الحق في الاسهام . طبقا للدستور والقانون . في ممارسة السلطه العامه في بلده ، هذا فضلا عن منظومه من عناصر ومقتضيات تجعل من الولاء للدوله مجرد استجابه موضوعيه وضمانة حقه لتنميه امكانات النضال السلمي لاستخلاص الحقوق الاقتصادية والاجتماعيه والبيئيه ، وادارة اوجه الاختلاف ديمقراطيا.

واذا ماانتقلنا إلى دراسة الحاله العراقية فأننا امام ارث سياسي واقتصادي واجتماعي ونفسي له بالغ الاثر على تشكيل مفهوم المواطنة وعليه لابد من القيام بجهد سياسي واجتماعي وثقافي عالي المستوى لتنمية الشعور بالهويه الوطنية لدى مختلف شرائح المجتمع مهما كانت انتماءاتهم العرقيه والطائفيه من خلال تعزيز مفهوم المواطنة في سياق دوله حديثه تحرص على ضمان احتياجاتهم الاساسيه بأكبر قدر ممكن بالشكل الذي يوقظ لديهم الاحساس الوطني وضرورة مقابلة حقوقهم بالواجبات الملقاة على عاتقهم اسهاما منهم في ارساء اسسس الدولة الحديثة .

---

[36] حسين درويش العادلي ، المواطنة الديمقراطيه والفاعليه الاجتماعيه : . www. Watanc .net .